(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 7-8 نيسان 2025 (القسم الاول), الصفحات 106-118

ترجيحات السيد الطباطبائي في تفسير الميزان سورة المزَّمِّل أنموذجاً

أ.د. زين العابدين عبد علي طاهر الكعبي[1]*

أ.د. كريم مجيد ياسين الكعبي[2]*

[1]جامعة ميسان، كلية التربية، ميسان، العراق

[2]جامعة سومر، كلية التربية الاساسية ، ذي قار، العراق

الملخص:

تناولنا في بحثنا المتواضع هذا دراسة جزء يسير من معاني القرآن الكريم التي تناولها السيد الطباطبائي بالبحث والتفسير والتحقيق، ذاهبين معه في بيان ما رجحه من معان توصل اليها من خلال تفسيره، واوقفنا بحثنا في خصوص(سورة المزّمل) لتكون هي النافذة التي نرى من خلالها اساليب ووجوه الترجيح عند السيد الطباطبائي، على اننا اخترنا بعض الوجوه في الترجيح واغفال النظر عن الوجوه الأخرى لضرورة اقتضاها البحث، فكانت خطة بحثنا مؤلفة من مبحثين جاء الأول تحت عنوان: (وجوه وأساليب الترجيح)، تناولنا فيه بيان معنى الترجيح في اللغة والإصطلاح، وكذلك شروطه وأركانه، ووجوه الترجيح، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان (بيان الآيات مورد البحث)، تناولنا فيه تطبيقاً لآيات سورة المزمل من حيث بيان الترجيح مورد البحث، ثم خلصنا الى الخاتمة ونتائج البحث ومصادره.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الترجيح، الوجوه، أساليب، شروط، اركان.

The preferences of Mr. Tabatha in the interpretation of the balance Surat Al-Muzzammil as a model

Professor Dr. Zain Al-Abidin Abdul Ali Tahir Al-Kaabi[1*]

Professor Dr. Karim Majeed Yassin Al-Kaabi[2]*

[1]University of Maysan, College of Education, Maysan, Iraq

[2]University of Sumer, College of Basic Education, Thi Qar, Iraq

Abstract:

We dealt in our humble research this study of a small part of the meanings of the Holy Qur'an addressed by Mr. Tabatha research, interpretation and investigation, going with him in the statement of what he weighted the meanings reached through his interpretation, and we stopped our research in regard to (Surat Al-Muzzammil) to be the window through which we see the methods and faces of weighting when Mr. Tabatha, that we chose some faces in weighting and ignoring the other faces of the need to be required by the research, our research plan was composed of two sections came the first under Title: (Faces and methods of weighting), we dealt with the statement of the meaning of weighting in the language and terminology, as well as its conditions and pillars, and the faces of weighting, and the second section came under the title (statement of verses research resource), we dealt with the application of the verses of Surat Al-Muzzammil in terms of the statement of weighting research resource, then we concluded to the conclusion and the results of the research and its sources.

* **Email address: zain6363@gmail.com**

Keywords: The Qur'an, weighting, faces, methods, conditions, pillars.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين بارئ الخلق أجمعين والصلاة والسلام على خير الأنام النبي الأكرم محمد بن عبد الله المصطفى (ﷺ) وعلى ذريته الطاهرة وأهل بيته الطيبين الأطهار، وصحبه المنتجبين الأخيار.

إن السابح في علم التفسير والتأويل والبحث والتدقيق في معارف القرآن الكريم لا يستطيع العوم إلا بأدوات النجاة من الغرق في بحره المتلاطم، لأنه اشرف العلوم وأفضلها لاتصاله بكلام الله تعالى ، ولوا افنى الإنسان عمره في طلب تحصيله لم يوف حق دراسته ومطالعته والبحث فيه، لعظيم ما يحمل من معنى غير متناه.

ولذا اخترنا في بحثنا المتواضع هذا دراسة جزء يسير من معاني القرآن الكريم التي تناولها السيد الطباطبائي بالبحث والتفسير والتحقيق، ذاهبين معه في بيان ما رجحه من معان توصل اليها من خلال تفسيره، واوقفنا بحثنا في خصوص(سورة المزّمل) لتكون هي النافذة التي نرى من خلالها اساليب ووجوه الترجيح عند السيد الطباطبائي، على اننا اخترنا بعض الوجوه في الترجيح واغفال النظر عن الوجوه الأخرى لضرورة اقتضاها البحث، فكانت خطة بحثنا مؤلفة من مبحثين جاء الأول تحت عنوان: (وجوه وأساليب الترجيح)، تناولنا فيه بيان معنى الترجيح في اللغة والاصطلاح، وكذلك شروطه وأركانه، ووجوه الترجيح، وجاء المبحث الثاني تحت عنوان (بيان الآيات مورد البحث)، تناولنا فيه تطبيقاً لآيات سورة المزمل من حيث بيان الترجيح مورد البحث، ثم خلصنا الى الخاتمة ونتائج البحث ومصادره.

المبحث الأول

وجوه وأساليب الترجيح

أولاً: معنى الترجيح :

1- الترجيح لغة: "رجح : الرَّاجِحُ: الوازِنُ .ورَجَحَ الشيءَ بيده: رَزَنشه ونَظر ما ثِقْلُه، وأَرْجَحَ الميزانَ أَي أَثقله حتى مال، وأَرْجَحْتُ لفلان ورَجَّحْت تَرْجيحاً إذا أَعطيته راجِحاً، ورَجَح الشيءُ يَرْجَحُ ويَرْجِحُ ويَرْجُحُ رُجوحاً ورَجَحاناً ورُجْحاناً ، ورَجَح الميزان يَرْجَحُ ويَرْجِحُ ويَرْجُحُ رُجْحاناً: مال، ويقال: زِنْ وأَرْجِحْ، وأَعْطِ راجِ"[1].

ويراد به كذلك: زيادة الموزون، تقول: « رجحت الميزان »: ثقلت كفته بالموزون، ورجحت الشيء - بالتثقيل - : فضلته."[2]

وهو: " زيادة الموزون تقول رجحت الميزان ثقلت كفته بالموزون ورجحت الشيء بالتثقيل فضلته وعرفا تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر وعبر بعضهم بزيادة وضوح في أحد الدليلين وبعضهم بالتقوية لأحد المتعارضين أو تغليب أحد المتقابلين" [3]

قال السرخسي:" الترجيح لغة إظهار فضل في أحد جانبي المعادلة وصفا لا أصلا ، فيكون عبارة عن مماثلة يتحقق بها التعارض ، ثم يظهر في أحد الجانبين زيادة على وجه لا تقوم تلك الزيادة بنفسها فيما تحصل به المعارضة أو تثبت به المماثلة بين الشيئين ، ومنه الرجحان في الوزن فإنه عبارة عن زيادة بعد ثبوت المعادلة بين كفتي الميزان وتلك الزيادة

على وجه لا تقوم منها المماثلة ابتداء ولا يدخل تحت الوزن منفردا عن المزيد عليه مقصودا بنفسه في العادة نحو الحبة في العشرة" [4]

2- الترجيح في الاصطلاح:

"واصطلاحا: تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر. وقيل: زيادة وضوح في أحد الدليلين وقيل: التقوية لأحد المتعارضين، أو تغليب أحد المتقابلين".[5].

وقيل :"الترجيح هو إبطال الدليل المرجوح إبطالاً تامًا فهو أعظم من النسخ، لأن النسخ إعمال لكلا الدليلين لكن في وقتين مختلفين فالدليل المنسوخ يعمل به قبل النسخ والدليل الناسخ يعمل به بعد النسخ، فالناسخ أبطل الدليل المنسوخ بعد تقرره أعني تقرر الناسخ. وأما الترجيح فهو إبطال للعمل بالدليل المرجوح مطلقًا بحيث أنه يكون دليلاً لم يعمل به قط" [6]

وقيل: "هو تقديم المحتمل الأقوى في نظر المستدل، وإنما يصار إليه إذا كان في المسألة خلاف معتبر، أما إذا كان الخلاف شاذاً، أو مخالفاً لإجماع العلماء ونحو ذلك، فإنه لا يصار هنا إلى الترجيح؛ لأن القول الشاذ لا عبرة به ولا التفات إليه". [7]

ويراه الشوكاني:" لترجيح تقوية أحد الطرفين على الآخر فيعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الأخر وانما قلنا طرفين لأنه لا يصح الترجيح بين الأمرين الا بعد تكامل كونهما طرفين اما لو لم يتكامل كونهما طرفين أو انفرد كل واحد منهما فإنه لا يصح ترجيح الطرف على ما ليس بطر" [8]

وقال الزركشي: "الترجيح عبارة عن تقوية أحد الطرفين على الآخر كي يغلب على الظن صحته" [9].

ثانياً: شروط الترجيح واركانه:

الأول: شروط الترجيح:

لم يغفل العلماء عن بيان شروط الترجيح واركانه لما له من الأهمية في بيان المعنى الذي يزامن الحقيقة الدال عليها اللفظ الذي يستظل خلفه المعنى المراد من النص، إذ ان المتلقي قد لا يميز بين الاصلح من المعاني في إيصال فكرة ما بأقصر صورة تغنيه عن البحث ، وهذا مما التفت اليه العلماء لبيان الراجح من الأقوال والأصوب من المعاني، أطلقوا عليه عنوان (الترجيح)، فدخل هذا العنصر لأهميته في مسائل اللغة والأدب، والتفسير، وعلم الحديث، والفقه واصوله، وغيرها من العلوم الأخرى.

وهذه بعض الشروط التي يمكن حصرها بما يلي:

1- ما ذكره الشوكاني إذ قال: وللترجيح شروط الأول التساوي في الثبوت فلا تعارض بين الكتاب وخبر الواحد إلا من حيث الدلالة الثاني التساوي في القوة فلا تعارض بين المتواتر والآحاد بل يقدم المتواتر بالاتفاق كما نقله إمام الحرمين الثالث اتفاقهما في الحكم مع اتحاد الوقت والمحل والجهة فلا تعارض بين النهي عن البيع مثلا في وقت النداء مع الإذن به في غيره. [10]

2- ما نقله الزركشي بقوله: وذكر المناطقة شروط التناقض في القضايا الشخصية ثمانية اتحاد الموضوع والمحمول والإضافة والجزء والكل وفي القوة والفعل وفي الزمان والمكان وزاد بعض المتأخرين تاسعا وهو اتحادها في

الحقيقة والمجاز ليخرج نحو قوله تعالى وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهو راجع إلى الإضافة أي يراهم بالإضافة إلى أهوال يوم القيامة سكارى مجازا وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر ومنهم من رد الثمانية إلى ثلاثة وهي اتحاد الموضوع والمحمول والزمان ومنهم من يردها إلى الأولين لاندراج وحدة الزمان تحت وحدة المحمول ومنهم من يردها إلى أمر واحد وهو الاتحاد في النسبة الحكمية لا غير فتندرج الشروط الثمانية تحت هذا الشرط الواحد. (11)

الثاني: أركان الترجيح:

الترجيح بين الأدلة والأقوال بما له من الأهمية لابد أن يكون له بعض الأركان التي اعتمدها العلماء في اختيار المعنى او اللفظ من بين الأدلة المراد اتمام المعنى معها، لإيصال الفكرة الى المتلقي كما ذكرنا آنفاً.

وعندما يستعرض صاحب اللمع موارد الترجيح بين الأقوال والأدلة ويفرد لها باباً نراه يضع بعضاً من الأركان الأساسية للترجيح منها:

1- أن الترجيح لا يقع بين دليلين موجبين للعلم ولا بين علتين موجبتين للعلم لأن العلم لا يتزايد وإن كان بعضه أقوى من بعض وكذلك لا يقع الترجيح بين دليل موجب للعلم أو علة موجبة يحيى للعلم وبين دليل أو علة موجبة للظن لما ذكرناه ولأن المقتضى للظن لا يبلغ رتبة الموجب للعلم ولو رجح بما رجح لكان الموجب للعلم مقدما عليه فلا معنى للترجيح.(12)

2-أنّ العمل بالمرجوح قبيح بعد ثبوت الدليل الراجح ، ومطلق الظن ليس بدليل.(13).

3-لو لم يكن الحكم المستفاد من الدليل الراجح فعلياً من جهة جهل أو نسيان لا مانع من فعلية الحكم المستفاد من الدليل المرجوح، فإنّ المانع عن فعليته وتأثيره مع وجود المقتضي فيه هو فعلية الراجح المزاحم له، فإذا زالت فعليته بواسطة الجهل أو النسيان فلا مانع من فعليّة الآخر.(14).

4-ماذكره الآمدي: "الدليلان إما أن يتساويا، أو يترجح أحدهما على الآخر- قلنا: في نفس الامر أو في نظر الناظر؟ الأول ممنوع، وذلك لان الأدلة في مسائل الظنون ليست أدلة لذواتها وصفات أنفسها، حتى تكون في نفس الامر متساوية في جهة دلالتها، أو متفاوتة، وإن كان في نظر الناظر، فلا نسلم صحة هذه القسمة، بل كل واحد منهما راجح في نظر الناظر الذي صار إليه، وذلك لان الأدلة الظنية مما تختلف باختلاف الظنون، فهي أمور إضافية غير حقيقية، كما أن ما وافق غرض زيد، فهو حسن بالنسبة إليه، وإن كان قبيحا بالنسبة إلى من خالف غرضه، وعلى هذا، فلا تخطئة على ما ذكروه وإن سلمنا أن الدليلين في نفسيهما لا يخرجان عن المساواة أو الترجيح لأحدهما على الآخر، غير أن النزاع إنما هو في الخطأ بمعنى عدم الإصابة لحكم الله في الواقعة، لا بمعنى عدم الظفر بالدليل الراجح، ولا يلزم من عدم الظفر بالدليل الراجح عدم الظفر بحكم الله في الواقعة، لان حكم الله تعالى عندنا عبارة عما أدى إليه نظر المجتهد وظنه، لا ما أدى إليه الدليل الراجح في نفس الامر."(15).

وهناك أركان أخرى إختزلها عبد الكريم النملة في أربعة هي: (16)

الأول: وجود دليلين راجح ومرجوح.

الثاني: وجود المزية على أحد الدليلين المتعارضين وهو المرجح به.

الثالث: وجود المجتهدين الذي يرجح احدهما على الآخر.

الرابع: بيان المجتهد فضل ومزية الدليل الذي يريد ترجيحه على الآخر.

ثالثا: وجوه الترجيح عند السيد الطباطبائي:

يختلف النص المراد بحثه بين الشدة والضعف من حيث وجوه الترجيح وتتباين اتجاهاته من الأقوى الى الأقل قوة، فقد نجد أن نصاً قرآنياً فيه من القوة والمكنة ما يقدمه على نص قرآني آخر أقل منه قوة في التأثير وإيصال المعنى لظروف الترجيح، وهكذا نتعامل مح الترجيح في نصوص الحديث النبوي الشريف، وكذا في اختيار الأقوى من الأقوال، والأدلة عند التعارض بينها، وهنا يلعب الترجيح دوراً بارزاً في اختيار النص المراد، لما يمتلكه من ادوات تمكنه أن يكون الأنسب عند الإختيار، ولذا تباينت وجوه الترجيح عند السيد الطباطبائي في تفسيره بحسب ما قاده النص الى اختياره الوجه من نوع الترجيح، وهي كالاتي:

1- الترجيح بالسياق.
2- الترجيح بالظاهر.
3- الترجيح بالأنسب.
4- الترجيح بالإستعارة.
5- الترجيح بالكناية.
6- الترجيح بالإلتفات بنوعيه.

المبحث الثاني
بيان الآيات مورد البحث

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

1- قوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)) المزمل: آية 1

ذهب السيد الطباطبائي مرجحاً في بيان معنى الاية المباركة ان (المزَّمِّل) بتشديد الزاي والميم اصله، المتزمل اسم فاعل من التزمل بمعنى التلفف بالثوب من نوم ونحوه وظاهره أنه (ص) كان قد تزمل بثوب للنوم فنزل عليه الوحي فخوطب بالمتزمل.[17]، فنراه (قد) يرجح(بالظاهر) من الرأي في بيان معنى النص.

وقد وافق هذا القول ترجيحات بعض من المفسرين منهم التستري إذ قال: قوله تعالى :(يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)، المزمل الذي تزمل في الثياب وضمها عليه ، وهو في الباطن اسم له معناه : يا أيها الجامع نفسه ونفس الله عنده:[18] .

ووافق كذلك القمي الذاهب الى ان الآية المباركة خطاب للنبي محمد(ص) بقوله: (قال: هو النبي صلى الله عليه وآله كان يتزمل بثوبه وينام ، فقال الله : يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه (قليلا))[19].

وكذا وافق ترجيح السيد الطباطبائي ما رجحه الشيخ الطوسي في تبيانه مستنداً الى قول قتادة وعكرمة بقوله(يا أيها المزمل) ومعناه الملتف في ثيابه، يقال تزمل في ثيابه، فهو متزمل إذا التف، والأصل(متزمل) فأدغم التاء في الزاي لان الزاي قريبة المخرج من التاء، وهو ابدى في المسموع من التاء. وقال قتادة : معناه المتزمل بثيابه، وقال عكرمة: المتزمل بعباء النبوة، وكل شئ لفف، فقد تزمل، قال أمرء القيس:

كأن ابانا في أفانين ودقه * كبير أناس في بجاد مزمل.[20].

ثم ان السيد الطباطبائي"قد" يرد على من توهم أن في مخاطبة النبي(ص) تهجين أو تحسين، وقد عمل بالترجيح(بالسياق) في توجيه الخطاب القرآني بقوله: "وليس في الخطاب به تهجين ولا تحسين كما توهمه بعضهم، نعم يمكن أن يستفاد من سياق الآيات أنه ﷺ كان قد قوبل في دعوته بالهزء والسخرية والايذاء فاغتم في الله فتزمل بثوب لينام دفعا للهم فخوطب بالمزمل وأمر بقيام الليل والصلاة فيه والصبر على ما يقولون."[21].

وينقل السيد الطباطبائي قولاً منقولاً عن عكرمة، بان المراد من (المتزمل) أي المتزمل بأعباء النبوة المتحمل لأثقالها.

قَالَ عِكْرِمَةُ: مَعْنَاهُ الْمُزَّمِّلُ لِلنُّبُوَّةِ وَأَعْبَائِهَا، أَيِ الْمُشَمِّرُ الْمُجِدُّ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ التَّزَمُّلُ مَجَازًا، وَعَلَى مَا سَبَقَ يَكُونُ حَقِيقَةً.[22].

وكذا ما ذكره الشيخ الطبرسي في مجمعه من القول:" المعنى : (يا أيها المزمل) معناه : يا أيها المتزمل بثيابه، المتلفف بها، عن قتادة. وقيل: يا أيها المتزمل بعباءة النبوة أي: المتحمل لأثقالها، عن عكرمة. [23].

وهو بهذا "قد" يرجح أن لا شاهداً على هذا القول, قال: "وقيل : المراد يا أيها المتزمل بعباءة النبوة أي المتحمل لأثقالها ، ولا شاهد عليه من جهة اللفظ." [24].

2- قوله تعالى: ((قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)) المزمل:الآية 2-4

في هذه الآية المباركة يرجح السيد الطباطبائي (بظاهر السياق) بأن المراد من قيم الليل هو الأمر بصلاة الليل، قوله تعالى: " قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا " المراد بقيام الليل القيام فيه إلى الصلاة فالليل مفعول به توسعا كما في قولهم: دخلت الدار، وقيل: معمول" قم "مقدر و "الليل" منصوب على الظرفية والتقدير قم إلى الصلاة في الليل، وقوله: "إلا قليلا" استثناء من الليل. وقوله: "نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه" ظاهر السياق أنه بدل من "الليل إلا قليلا" المتعلق به تكليف القيام، وضميرا "منه" و "عليه" للنصف، وضمير "نصفه" لليل، والمعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا أو زد على النصف قليلا، والترديد بين الثلاثة للتخيير فقد خير بين قيام النصف وقيام أقل من النصف بقليل وقيام أكثر منه بقليل." [25]

وفي توجيه قوله تعالى: ((وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)) يرجح السيد الطباطبائي(بالظاهر) بأن المراد بالترتيل، ترتيله في الصلاة أو المراد به الصلاة نفسها، فقال: " وقوله : " ورتل القرآن ترتيلا " ترتيل القرآن تلاوته بتبيين حروفه على تواليها ، والجملة معطوفة على قوله : " قم الليل " أي قم الليل واقرا القرآن بترتيل . والظاهر أن المراد بترتيل القرآن ترتيله في الصلاة أو المراد به الصلاة نفسها وقد عبر سبحانه عن الصلاة بنظير هذا التعبير في قوله : " أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا "[26]

3- قوله تعالى:((إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)) المزمل: آية 4

يرجح السيد الطباطبائي من خلال (السياق) من أن المراد بالقول الثقيل القرآن قال: "فقوله: "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا" المراد بالقول الثقيل القرآن العظيم على ما يسبق إلى الذهن من سياق هذه الآيات النازلة في أول البعثة، وبه فسره المفسرون" (27).

وفي هذا النص الكريم يذهب السيد الطباطبائي في بيان قوله تعالى((قولاً ثقيلا)) بالترجيح (بالإستعارة) من أن الثقل كيفية جسمانية من خاصته شق حمل الجسم الثقيل ونقله من مكان الى مكان، فرجح (بالإستعارة) بالمعنى إذا شق على النفس تحملها ولم تطقها، قال: " قوله تعالى: إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا " الثقل كيفية جسمانية من خاصته أنه يشق حمل الجسم الثقيل ونقله من مكان إلى مكان وربما يستعار للمعاني إذا شق على النفس تحملها أو لم تطقها فربما أضيف إلى القول من جهة معناه فعد ثقيلا لتضمنه معنى يشق على النفس إدراكه أو لا تطيق فهمه أو تتحرج من تلقيه". (28).

وبهذا يوافق ترجيح الطباطبائي ما رجحه الإسترآبادي من كون معنى الأية هو: ما يشق ثقله على نفس رسو الله(ص) تحمله، إذ قال:" هذه الآية اعتراض، ويعني بالقول الثّقيل القرآن، وما فيه من الأوامر والنواهي الّتي هي تكاليف شاقّة ثقيلة على المكلّفين، خاصّة على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لانّه متحمّلها بنفسه، ومحمّلها لأمّته، فهي أثقل عليه وأبهظ له فيحتاج في ضبط ذلك وتأديته إلى قيام الليل وأراد بهذا الاعتراض أنّ ما كلّفه من قيام اللّيل من جملة التّكاليف الثقيلة الصّعبة الّتي ورد بها القرآن، لانّ اللّيل وقت السّبات والرّاحة، فلا بدّ لمن أحياه من مضادّة لطبعه ومجاهدة لنفسه، وقيل نزوله أو تلقّيه" (29).

وكذا يوافق الطباطبائي ترجيح ما صرح به الشيخ الطريحي من أن النص القرآني ((قولاً ثقيلًا)) هي المشقة والتحمل لنفس رسول الله (ص) حيث قال: " عني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الأوامر والتكاليف الشاقة الصعبة ، وأما ثقلها على رسول الله فلأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهي أبهظ له مما يتحمله خاصته من الأذى فيه. (30).

ثم يستعرض السيد الطباطبائي عدة أقوال في المعنى الذاهب لبيان ((قولاً ثقيلاً)) بقوله: للقوم في معنى ثقل القرآن أقوال أخرى، مرجح(بالظاهر) ماذهب اليه من الوجه أنه ما يثقل على النفس، فقال: " وللقوم في معنى ثقل القرآن أقول أخر :

منها : أنه ثقيل بمعنى أنه عظيم الشأن متين رصين كما يقال : هذا كلام له وزن إذا

كان واقعا موقعه .

ومنها : أنه ثقيل في الميزان يوم القيامة حقيقة أو مجازا بمعنى كثرة الثواب عليه .

ومنها : أنه ثقيل على الكفار والمنافقين بما له من الاعجاز وبما فيه من الوعيد .

ومنها : أن ثقله كناية عن بقائه على وجه الدهر لان الثقيل من شأنه أن يبقى ويثبت

في مكانه .

ومنها : غير ذلك والوجوه المذكورة وان كانت لا بأس بها في نفسها لكن ما تقدم من الوجه هو الظاهر السابق إلى الذهن". (31).

4- قوله تعالى:((إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)) المزمل: آية 6-7

عندما يستعرض السيد الطباطبائي مضامين الآيات المباركات يرى أن الآية الأولى تذهب الى إختيار الليل وقتاً للصلاة، والآية الثانية إعراض عن النهار، ثم يذهب الى المبحث اللغوي لبيان دلالة المفردة ،مركزاً على لفظة ((أشد وطأً)) مرجحا (بالكناية) عن كونها – أي صلاة الليل- أثبت قدماً لصفاء النفس، فقال:" قوله تعالى: " ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا " الآية الأولى في مقام التعليل لاختيار الليل وقتا لهذه الصلاة، والآية الثانية في مقام التعليل لترك النهار والاعراض عنه كما أن الآية السابقة أعني قوله: " انا سنلقي عليك قولا ثقيلا " في مقام التعليل لتشريع أصل هذه الصلاة . فقوله: " ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا " الناشئة اما مصدر كالعاقبة والعافية بمعنى النشأة وهي الحدوث والتكون ، واما اسم فاعل من النشأة مضاف إلى موصوفه وكيف كان فالمراد بها الليل واطلاق الحادثة على الليل كإطلاقها على سائر أجزاء الخلقة وربما قيل: انها الصلاة في الليل ووطؤ الأرض وضع القدم عليها، وكونها أشد وطأ كناية عن كونها أثبت قدما لصفاء النفس وعدم تكدرها بالشواغل النهارية" [32].

ثم يعرج الطباطبائي بايراد بعض الآراء الدالة على بيان معنى قوله تعالى: ((إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)) مرجحاً أن السبح الطويل (كناية) عن الغور في مهمات العيش.

وبعد بيانها يخلص مرجحاً (بالأنسب) ما اختاره بما قدمه في مقام البحث. قائلاً: " وقوله: " إن لك في النهار سبحا طويلا " السبح المشي السريع في الماء والسبح الطويل في النهار كناية عن الغور في مهمات المعاش وأنواع التقلب في قضاء حوائج الحياة . والمعنى إن لك في النهار مشاغل كثيرة تشتغل بها مستوعبة لا تدع لك فراغا تشتغل فيه بالتوجه التام إلى ربك والانقطاع إليه بذكره فعليك بالليل والصلاة فيه .

وقيل: المعنى إن لك في النهار فراغا لنومك وتدبير أمر معاشك والتصرف في حوائجك فتهجد في الليل.

وقيل: المعنى إن لك في النهار فراغا فإن فاتك من الليل شئ أمكنك أن تتداركه في النهار وتقضيه فيه فالآية في معنى قوله: " وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا " الفرقان : 62 .

والذي قدمناه من المعنى انسب للمقام." [33]

5- قوله تعالى:((وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)) المزمل: آية 8

وعند تناول هذه الآية المباركة نجد ان السيد الطباطبائي يرجح (بالظاهر) أن المراد بقوله تعالى:((وتبتل إليه تبتيلا) كالعطف التفسيري قي قوله تعالى: ((ورتل القرآن ترتيلاً))، قال:" قوله تعالى : " واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا " الظاهر أنه يصف صلاة الليل فهو كالعطف التفسيري على قوله : " ورتل القرآن ترتيلا " وعلى هذا فالمراد بذكر اسم الرب تعالى الذكر اللفظي بمواطاة من القلب وكذا المراد بالتبتل التبتل مع اللفظ. [34].

وعندما يستعرض قوله تعالى:((واذكر اسم ربك))، ذاكراً أقوال أخرى في بيان المعنى المراد، يصل الى نتيجة يرجح في مضمون قول((ربك)) ان هناك (إلتفات من الحضور الى الغيبة)، ثم يرجح بالأنسب بما ذهب اليه من حمل ((الذكر)) على المعنى اللفظي، قائلاً: " وبالجملة قوله: " واذكر اسم ربك " أمر بذكر اسم من أسمائه أو لفظ الجلالة خاصة، وقيل: المراد به البسملة.

وفي قوله: " ربك " التفات عن التكلم مع الغير في قوله: إنا سنلقي " إلى الغيبة ولعل الوجه فيه إيقاظ ذلة العبودية التي هي الرابطة بين العبد وربه، بذكر صفة الربوبية. وقوله " وتبتل إليه تبتيلا " فسر التبتل بالانقطاع أي وانقطع إلى الله،

ومن المروى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن التبتل رفع اليد إلى الله والتضرع إليه، وهذا المعنى أنسب بناء على حمل الذكر على الذكر اللفظي كما تقدم.[35].

6- قوله تعالى:((إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا))

في هذه الآية المباركة يرجح السيد الطباطبائي أن فيها (إلتفات عن الغيبة الى الخطاب)، قال: " قوله تعالى: " إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا "إنذار للمكذبين اولي النعمة من قومه ﷺ بعد ما أوعد مطلق المكذبين اولي النعمة بما أعد لهم من العذاب يوم القيامة بقياس حالهم إلى حال فرعون المستكبر على الله ورسوله المستذل لرسول الله ومن آمن معه من قومه ثم قرع أسماعهم بما انتهى إليه أمر فرعون من أخذ الله له أخذا وبيلا فليتعظوا وليأخذوا حذرهم، وفي الآية "التفات عن الغيبة إلى الخطاب" كأن المتكلم لما أوعدهم بالعذاب على الغيبة هاج به الوجد على أولئك المكذبين بما يلقون أنفسهم بأيديهم إلى الهلاك الأبدي لسفاهة رأيهم فشافههم بالانذار ليرتفع عن أنفسهم أي شك وترديد وتتم عليهم الحجة ولعلهم يتقون، ولذا عقب قياسهم إلى فرعون وقياس النبي ﷺ إلى موسى عليه السلام والإشارة إلى عقابه أمر فرعون بقوله " فكيف تتقون إن كفرتم يوما"[36]

7- قوله تعالى: ((فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)) المزمل: آية 17

في هذا النص الكريم يذهب السيد الطباطبائي الى الترجيح من خلال المجاز العقلي في بيان المعنى المراد من إتقاء ذلك اليوم، الذي عبر عنه مجازاً بالعذاب، قائلاً: " قوله تعالى: " فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا " نسبة الاتقاء إلى اليوم من المجاز العقلي والمراد اتقاء العذاب الموعود فيه، وعليه فيوما مفعول به لتتقون، وقيل: مفعول " تتقون " محذوف و " يوما " ظرف له والتقدير فكيف تتقون العذاب الكائن في يوم، وقيل: المفعول محذوف و " يوما " ظرف للاتقاء وقيل غير ذلك. [37] وفي قوله ((يجعل الولدان شيباً) يذهب الى الترجيح(بالكناية) من خلال المصدر اللغوي الى بيان المعنى المراد من الشيب. قائلًا:" وقوله: " يجعل الولدان شيبا " الشيب جمع أشيب مقابل الشاب ، وجعل الولدان شيبا كناية عن شدة اليوم لا عن طوله". [38]

ويوافق السيد الطباطبائي في ترجيحه، ما استظهره صاحب كنز الدقائق في ترجيحه بتوجيه النص الى أن شدت الهول يؤدي الى ضعف القوى وتسرع الشيب، والذي هو وصف لطول ذلك اليوم، فقال: " عذاب يوم « يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً »: من شدّة هوله. وهذا على الفرض أو التّمثيل، وأصله: أنّ الهموم تضعف القوى وتسرع بالشّيب. ويجوز أن يكون وصفا « لليوم » بالطوّل". [39]

ومايقارب ترجيح السيد الطباطبائي، ما رجحه اليه السمرقندي في ضرب المثل كناية عن الشيب لبيان معنى النص الكريم قائلاً:(يوما يجعل الولدان شيبا)، وهذا على وجه المثل لأن يوم القيامة لا يكون فيه ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي يشيب رأسه من الهيبة ويقال هذا وقت الفزع قبل أن ينفخ في الصور نفخة ولدان، يعني يوم القيامة يشيب الولدان يعني من هيبته يشيب الصبيان ولكن معناه أن هيبة الصعق.[40].

8- قوله تعالى: ((إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا)) المزمل: آية 19

يتوقف السيد الطباطبائي متأملا بالنص في عبارة ((فمن شاء)) في معناها اللغوي مرجحاً لها من جهة مفهوم (السياق) الذي يراه ملائماً للنص قائلاً: " وقوله: " فمن شاء " مفعول " شاء " محذوف والمعروف في مثل هذا المورد أن يقدر

المفعول من جنس الجواب والسياق يلائمه، والتقدير فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا اتخذ الخ، وقيل: المقدر الاتعاظ ، والمراد باتخاذ السبيل إليه اتخاذ السبيل إلى التقرب منه، والسبيل هو الايمان والطاعة هذا ما ذكره المفسرون" [41]

وهذا المعنى والترجيح عين ما ذهب اليه صاحب البحر المحيط إذ رجح أن المشيئة تتعلق بالإيمان والطاعة له تعالى، حيث ذكر:" {إِنَّ هذه تذكرةٌ} أي: إنَّ هذه الآيات المنطوية على القوارع المذكورة موعظة، {فمَن شاء اتَّخَذِ إلى ربه سبيلا} أي: فَمن شاء اتعظ بها، واتخذ طريقاً إلى الله تعالى بالإيمان والطاعة، فإنه المنهاج الموصِّل إلى مرضاته. [42].

الخاتمة ونتائج البحث

بعد الحمد والثناء والشكر لله تعالى على منه علينا بالنعم ومنها طلب العلم نسأله تعالى ان يجعل هذا البحث المتواضع ذي فائدة للمتلقي وان يكون في ميزان حسناتنا، وفي نهاية هذا المشوار الممتع مع تفسير السيد الطباطبائي، اسأله تعالى أن يمن علينا بالعلم والمعرفه والسداد للإستمرار بالبحث والتحصيل، إنه سميع مجيب.

ولذا في نهاية المطاف نورد بعض النتائج التي توصل اليها البحث وهي:

1- أوجدنا ان تفسير الميزان غني بالعلم وبستان لم اراد الفيء تحت ضلاله وان فيه لطالب العلم والمعرفة بعلوم القرآن ما يجد.

2- عرض السيد الطباطبائي الآيات بصورة البحث والتدقيق والتحقيق بصورة فريدة متنقلاً بين الأقوال ومرجحاً للأنسب منها.

3- استعمل السيد الطباطبائي في تفسيره وجوه الترجيح وبتنوع حالاته حسب ما يقوده النص القرآني.

4- استخدم المنهج العلمي الذي يتعامل مع النص تارة بالتفسير الموضوعي وأخرى بالتفسير بالمأثور.

5- اغنى تفسيره بالإهتمام بالمصادر اللغوية والبلاغية لأنها لااساس بيان المعنى المراد من النص، ولذا جاءت ترجيحاته متنوعة بتنوع نوع اللفظ .

6- عرض الآراء والأقوال في النص المراد بيانه مع اختياره وترجيحه لما هو الأقوى والأقرب للنص القرآني.

الهوامش:

[1][1] ابن منظور ، لسان العرب 2: 445، نشر آداب الحوزة ،ط، محرم 1405هـ.
[2] محمود عبد الرحمن عبد المنعم ،معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية 1: 454ط دار الفضيلة، القاهرة.
[3] زين الدين محمد المناوي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف 170/1، تح، محمد رضوان الداية ،دار الفكر المعاصر، بيروت – دمشق ط1، 1410.
[4] أصول السرخسي،2: 249،تح، أبو الوفا الأفغاني،دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ،ط1،1414-1993م.
[5] محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات واللفاظ الفقهية 1: 454.
[6] وليد ابن راشد السعيدان، تلقيح الإفهام العلية في شرح القواعد الفقهية، 1: 2ط دار اللؤلؤة، القاهرة
[7] يوسف بن محمد علي الغيض، شرح رسالة رفع الملام عن الإئمة الأعلام 9: 1ط1 ،2013
[8] ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الإصول، 273 ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،ط1، 1356-1927 مصر
[9] البحر المحيط في أصول الفقه،4: 426، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1، 1421-2000م.
[10] ظ: الشوكاني، ارشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الإصول : 273

(11) البحر المحيط في اصول الفقه، 4: 408،تح،د. محمد محد ثامر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1، 1421-2000م.
(12) ابراهيم بن علي الشيرازي، اللمع في اصول الفقه : 324، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1406هـ.
(13) ظ: الميرزا القمي، غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام 1: 479، تح، عباس تبريزيان، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة،ط1، 1375-1417ش.
(14) الميرزا حسن السيادتي السبزواري، وسيلة الوصول الى حقائق الأصول : 327،مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة،ط1، 1419هـ.
(15) الآمدي، الأحكام 4: 190تح، عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض، ط1، 1387هـ .
(16) ظ: عبد الكريم بن علي بن محمد، المهذب في علم أصول الفقه المقارن 5: 2423مكتبة الرشيد، الرياض، ط1، 1420-1999م.
(17) ظ: السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن 20: 60مؤسسة اسماعيليان ، قم ط5 1412هـ .
(18) سهل بن عبد الله التستري، تفسير التستري/ 180، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط1 1423هـ
(19) علي ابن ابراهيم القمي 2: 392 تح اليسد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، ط1 ، 1387هـ.
(20) ظ: الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن 10: 161تح، احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، ط1 1409
(21) الميزان في تفسير القرآن 20: 60
(22) أبو حيان محمد بن علي بن يوسف الإندلسي البحر المحيط في التفسير 10: 311 ' دار الفكر بيروت- لبنان ط1، 1420هـ.
(23) تفسير مجمع البيان 10:160 مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت –لبنان ط1، 1415-1095م.
(24) السيد الطباطبائي: الميزان 20في تفسير القرآن: 60
(25) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن 20: 61
(26) المصدر نفسه 20: 61
(27) المصدر نفسه 20: 62
(28) المصدر نفسه 20: 62
(29) المولى محمد بن ابراهيم الإسترآبادي ، آيات الأحكام : 215، تح، محد باقر شريف زاده، الناشر مكتبة المعراجي، طهران، ناصر خسرو.
(30) الشيخ فخر الدين الطريحي، تفسير غريب القرآن: 449 تح محد كاظم الطريحي ، انتشارات زاهدي، قم المقدسة (ب ت ط).
(31)السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان،في تفسير القرآن 20: 63
(32) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن 20: 64
(33) المصدر نفسه 20: 64
(34) المصدر نفسه 20: 64
(35) المصدر نفسه 20: 65
(36) السيد محمد حسين الطباطبائي 20 الميزان في تفسير القرآن: 68
(37) المصدر نفسه 20: 69
(38) المصدر نفسه 20: 69
(39) محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: 55، تح حسين دركاهي،مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1 -1411-1991.
(40) ابو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، 3: 488تح، د محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت- لبنان(ب.ت).
(41) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 20: 69
(42) أبو العباس أحمد بن محمد بن مهدي الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد 7:168، تح أحمد عبد الله القرشي ط2 دار الكتب العلمية، بي روت-لبنان ، 1423- 2002م.

المصادر ومراجع البحث

- القرآن الكريم
- ابن منظور ، لسان العرب، نشر آداب الحوزة ،ط، محرم 1405هـ.
- محمود عبد الرحمن عبد المنعم ،معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ط 1، دار الفضيلة، القاهرة.
- زين الدين محمد المناوي القاهري، التوقيف على مهمات التعاريف ، تح، محمد رضوان الداية ،دار الفكر المعاصر، بيروت – دمشق ط1، 1410.
- أصول السرخسي، تح، أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ،ط1414،1–1993م.
- محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات واللفاظ الفقهية. دار الفضيلة، القاهرة ط1 ،2006م
- وليد ابن راشد السعيدان، تلقيح الإفهام العلية في شرح القواعد الفقهية، ط دار اللؤلؤة، القاهرة

- يوسف بن محمد علي الغيض، شرح رسالة رفع الملام عن الإئمة الأعلام، ط1 ،2013
- ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1356-1927 مصر
- البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1، 1421-2000م.
- ظ: الشوكاني محمد بن علي، ارشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الإصول، تح، أبي حفص سامي ابن العربي دار الفضيلة، ط1، 1411- 2000م.
- البحر المحيط في اصول الفقه، تح، د. محمد محد ثامر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،ط1، 1421-2000م.
- ابراهيم بن علي الشيرازي، اللمع في اصول الفقه ، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1406هـ.
- ظ: الميرزا القمي، غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، تح، عباس تبريزيان، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة،ط1، 1417-1375ش.
- الميرزا حسن السيادتي السبزواري، وسيلة الوصول الى حقائق الأصول ،مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة،ط1، 1419هـ.
- الآمدي، الأحكام، تح، عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض، ط1، 1387هـ .
- ظ: عبد الكريم بن علي بن محمد، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1، 1420-1999م.
- ظ: السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة اسماعيليان ، قم ط5 1412هـ-
- سهل بن عبد الله التستري، تفسير التستري ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط1 1423هـ-
- علي ابن ابراهيم القمي، تح اليسد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، ط1 ، 1387هـ.
- ظ: الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ،تح، احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، ط1 1409
- أبو حيان محمد بن علي بن يوسف الإندلسي البحر المحيط في التفسير ، دار الفكر بيروت- لبنان ط1، 1420هـ.
- تفسير مجمع البيان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت -لبنان ط1، 1415-1095م.
- المولى محمد بن ابراهيم الإسترآبادي ، آيات الأحكام ، تح، محد باقر شريف زاده، الناشر مكتبة المعراجي، طهران، ناصر خسرو.
- الشيخ فخر الدين الطريحي، تفسير غريب القرآن: تح ، محد كاظم الطريحي ، انتشارات زاهدي، قم المقدسة (ب ت ط).

- محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: 55، تح حسين دركاهي،مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1 -1411-1991.
- ابو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، تح، د محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت- لبنان(ب.ت).
- محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، تح حسين دركاهي،مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1 -1411-1991.
- ابو الليث السمرقندي، تفسير السمرقندي، تح ، د محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت- لبنان(ب.ت).
- أبو العباس أحمد بن محمد بن مهدي الفاسي الصوفي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تح أحمد عبد الله القرشي ط2 دار الكتب العلمية، بي روت-لبنان ، 1423- 2002م.